الإمام محمد بن عبد الوهاب

للشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

-حفظه الله تعالى-

[شريط مفرغ]✍

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في محكم كتابه ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:56]، القائل ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[الإسراء:23]، والقائل ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾[النساء:36]، والقائل ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾ [الأنعام:151].

وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله، نشهد لأنه بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد حتى تركنا على بيضاء نقية ليلُها كنهارها يزيغ عنها بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا هالك.

اللهم صلّ وسلم على نبينا محمد، كلما صلى عليه المصلون، وصل اللهم عليه كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وسلّم اللهم تسليما مزيدا.

أما بعد:

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم وإخواننا المؤمنين ممّن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، وهؤلاء الثلاث هن عنوان السعادة لمن وفقه الله جل وعلا إليها.

ثم إني في فاتحة هذه السلسلة من المحاضرات التي تفضل باقتراحها أخي الشيخ أحمد ابن نافع المرعي ودعاني إلى إلقاء هذه المحاضرة الخاصة بإمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛ لأنه من أهل مكة وأهل مكة يقولون أهل مكة أدرى بشعابها، كما أني أشكر

للأخ العزيز الشـــيخ عبد الـــرحمن الفقيه مكالمته ودعوته الكريمة وترحيبه بي في هـذه المحاضـرة، وأشـكر إخـواني في مركز الدعوة والإرشاد وفرع الـوزارة في هـذه المنطقة على عنايتهم بالمحاضـرات وبالـدعوة والإرشـاد وبكل ما فيه تقريب للناس إلى ما يحبه الله جل وعلا ويرضاه.

ولاشك أن الـدعوة إلى الله جل وعلا والإرشـاد هي مهمة أرسل عليهم صـــلوات الله وســـلامه، وهي مهمة من أحبّ رسولنا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله جل وعلا يقول ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:108].

الحـديث عن أئمة الإسـلام الـذين أثَّروا في الأمة بالـدعوة إلى التمسك لما كـان عليه السـلف الصـالح، ودعـوا إلى ذلك وألفوا وجاهدوا وأرشدوا، الحديث عن هـؤلاء مهم في هـذا الزمن؛ لأن تقديم النماذج الحية من أهل العلم والـدين ممن أثّر ودعا وعلم وصبر حتى كان بدعوته الأثر البـالغ في هـذه الأمة، إنّ الحديث عن سير العلماء والأئمة يؤثر في النفـوس من جهات عديدة:

أولا يؤثر في أن يعلم أنه ليس التمسك بالإسلام والدعوة إليه والجهـاد في سـبيله إنما هو شـيء اختصه الله جل وعلا بالرعيل الأول من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ؛ بل إن دين الله جل وعلا كما خـــــاطب الله به الأولين فقد خطب به المتوسـطين والآخـرين، فـدين الله واحد والنـاس مخاطبون به في كل زمان ومكان، وفي كل زمـان جعل الله

جل وعلا من أهل العلم والـدّين من يجـدد لهـذه الأمة أمر دينها، كما جاء في السـنن بإسـناد قـوي أنّ النـبي صَـلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «**إن الله يبعث لهذه الأمة على مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**».

وهذا أيضا مهم ليعلم كل أحد أن هـذه الأمة لابد أن تبقى فيها طائفة ظـــاهرة على الحق قائمة به لا يضـــرهم من خـذلهم ولا من خـالفهم، فأئمة الإسـلام وأعلام الـدين منهم من بلغ وأدى الأمانة ونصح وجاهد لكن لم يظفر بـــأن رأى نتيجة دعوته أو أن يكـــون له التمكين، ومنهم من دعا ومكّن الله له.

وإذا تأمل المـــرء ذلك فإنه ينظر إلى أن ظهـــور هـــذه الطائفة في الأمة بما وعد لك به رسـول الله صَـلَّى اللّٰهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ لابد حاصل بوعد الله الكريم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ في الحديث المتفق على صحته «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**» وفي رواية «**حتى تقوم الساعة**» وهؤلاء ظاهرون بالعلم واللسان والبيان، وظـاهرون تـارة بالسـيف والسنان.

ولابد أن تكـون هـذه الطائفة موجـودة في الأرض، ولابد أن يكون نصيبها الظهور دائما بالبيان والحجة واللسـان وربما كان بالسنان والجهاد في سبيل الله جهاد اليد.

ولهـذا إن تقـديم سـير أئمة السـلف الصـالح وأئمة دعـوة الإسلام؛ إن تقديم هذه السير ينعش النفوس ويصل الشباب

الحاضر بأئمتهم الماضين، حتى يعلم أن العلم لا ينـال براحة الأجسام وأن التأثير والدعوة ليست كلمة تقال وإنما لابد فيها من العلم والعمل كما أمر الله جل وعلا نبيه عَلَيْـهِ الصَّـلاَةُ والسَّلاَمُ بقوله ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[محمد:19]، وقال لنبيه ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه:114]، فالعلم والعمل بهما الصلاح وبهما الفلاح للحاضر من عباد الله ولمن نسـتقبل من الناس؛ لأنه لابد أن يكون للعلم والعمل الأثر في الحياة.

لهذا جاء اختيار هذه السلسلة مبتدأة بـ:

الإمام المصلح المجدد هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المُشَرَّفِي التميمي.

وسيرته معروفة لـدى الأكـثرين ولن نتطـرق إلى تفاصـيل سيرته بحيث نتطرق إلى ما كان عليه في أول حياته وما كان في طلبه للعلم وسيرته بالتفصيل إلى وفاته، هذه شأنها في المؤلفـات الكثـيرة الـتي أُلفت عنه رحمه الله تعـالى؛ ولكن نأخذ نبذة من سيرته وحياته ثم نتطرق إلى أثر حياته ودعوته وما تميزت به في النـاس وما أثّـرت به في ذلك الـزمن وفي حاضرنا الذي نعيشه.

الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب لد سـنة 1115 من الهجـرة وتوفي سنة 1206 لهجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكـانت حياته تلك منذ العقد الأول من عمـره منذ العشر سنين الأولى وهي في العلم والعمل إلى أن توفـاه الله جل وعلا، فقد حفظ القـرآن صـغيرا وأَمَّ بالنـاس حفظا بـالقرآن

وهو لم يبلغ سن الخامسة عشرة، وحج بين الله الحرام بعد أن احتلم وهو دون الخامسة عشرة؛ يعني في نحو الثالثة عشرة لأنه ولد سنة خمسة عشرة ومائة وألف وحج سنة سبع وعشرين ومائة وألف.

وهذه الحصيلة المبكرة من حفظ القرآن والرغبة في الحج مع بعد المسافات إذ ذاك وتعب الراحل إلى مكة المكرمة، لاشك أنها تنبئ عن قوة علمية وقوة في العمل ورغبة في عبادة الله تعالى منذ ذلك السن المبكر.

رعاه والده أحسن رعاية، وكان له عدة رحلات أوّلها إلى حج بيت الله الحرام، فحج البيت ومكث في مكة مدة، ثم ذهب إلى المدينة ثم رجع إلى العيينة إلى نجد.

وبعد ذلك حج مرة أخرى نحو 1135هـ يعني وهو في عشرين سنة وكانت هذه الرحلة الثانية رحلة قصد فيها بعد أداء العبادة أن يتصل بعلماء الحرمين علماء مكة وعلماء المدينة ليأخذ عنهم العلم، كما قال طائفة ممن ترجموا له إنه بعد رحلته الأولى وقع في نفسه أن يأخذ من علماء مكة وعلماء المدينة وعلماء الشام، فرحل رحلته الثانية هذه واتصل بعدد من العلماء في مكة والمدينة ولازمهم طويلا، وكان من أبرز من لازم في تلك الفترة الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف من أهالي نجد ولكنه سكن المدينة، ومنهم الشيخ محمد [آيات] السندي في المدينة، وممن أجازه في حجته الأولى مسند مكة وعالمها الذي جمع مسند الإمام أحمد بعد تفرقه الشيخ العالم عبد الله بن سالم البصري فأجازه بكتاب القِراء لقاصد أم القرى ويروى من طريق عبد

الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن أبيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وهذه الإجازة نازع فيها بعضهم، ومنهم وهم الأكثر من أثبتها، وتحقيقها محل نظر؛ لكنه معروف في الإجازات أنه أخذ ذلك عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري ،كما أثبت ذلك الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات نقلا عن الشيخ محمد آيات السندي.

ثم بعد ذلك رحل إلى البصرة عدة مرات رحل إلى البصرة ورجع إلى الأحساء وأخذ عن علمائها ورحل إلى البصرة وأخذ عن عدد من علمائها، وكانت له في هذه الرحلات العلمية كانت له مواقف مع العلماء الذين أخذ عنهم ودرس عليهم؛ حيث إنه كان بعد حفظه للقرآن في صغره كان مهتما بتفسير القرآن، ولذلك أثر في دعوته وفي أسلوبه وفي كلامه في التوحيد بإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى، حيث إن الإمام محمد بن جرير الطبري من أوائل العلماء الذين تكلموا بتفصيل فيما كان عليه أهل الجاهلية في أنواع عباداتهم وعبادة والأوثان والأصنام والفرق بينها وعبادة الآلهة المختلفة، وتقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وألوهية وإلى توحيد الأسماء والصفات.

تأثر الشيخ رحمه الله كثيرا بمدرسة الإمام محمد بن جرير في التفسير، فأخذ بالتفسير المأثور مع ما قرّره الإمام محمد بن جرير في ذلك مبكّرا.

ثم إنه حصّل كثيرا بعد ذلك في كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وتلميذه العلامة شمس الدين بن القيم، وأخذ واستفاد منها كثيرا.

وقرأ كتب الحديث وأجيز في كثير منها وكان ما وصفه ابن بدران في المدخل قد ملأ وصابه من السنة والحديث وشروحه وعلم الفقه على منهج الإمام المبجل أحمد ابن حنبل رحمه الله تعال.

وهذه السيرة المبكرة بالأخذ عن العلماء والشغف في العلم والحفظ والتدوين واقتناء الكتب ومعرفة ذلك، لم تكن بعيدة عن النظر في واقع الناس إذ ذاك وما هم عليه من أنواع المخالفات الشرعية، فكان ينكر في نفسه وربما حاور أباه الشيخ عبد الوهاب قاضي العيينة وقاضي حريملة، ربما حاور أباه في بعض ما يصنعه الجهلة في نجد من عبادة بعض الأشجار واعتقادٍ فيها أو بعض الغيران في بعض الجبال أو الاعتقاد في بعض الموتى والأولياء أن لهم تصرفات في ملكوت الله جل وعلا.

وامتلأ ذلك في نفسه، حتى أتى وزار بلاد الحرمين وحاور عددا من المشايخ في بعض ما يراه، وكلهم أوضح له ما هو صواب في أنه ما يفعله الجهّال في الاعتقاد في بعض الأماكن الأثرية أو بعض الأشجار أو بعض القبور أو نحو ذلك أنه ليس موافقا للسنة؛ بل هو من الشرك المحقق كما قاله له عدد من علماء مكة والمدينة.

ورحلة الشيخ إلى البصرة أخذ فيها عن عدد من العلماء، وهذه السيرة المبكرة قوي فيها جانبه في العلم وتحصيل الكتب والنظر فيما عليه المسلمون في عدد من أماكن

العالم الإسلامي، وغلط من قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه رحل إلى الشام أو رحل إلى بغداد أو إلى الموصل؛ بل هو لم يتعدَّ البصرة، كان ينوي أن يذهب من البصرة إلى الشام، وكان ينوي أن يذهب من المدينة إلى الشام؛ ولكن وقعت له حوادث وابتلاء وضرب من بعض قطّاع الطرق ما منعه من إكمال المسير في ذلك.

اتصل بالعلماء في الأحساء وفي نجد وأخذ ما عندهم، وعرف حتى تمكن من معرفة الأمرين المهمين؛ وهما:

- معرفة العلم الشرعي والنصوص ووجه الاستدلال منها.
- ومعرفة ما عليه الناس وتطبيق النصوص على واقع الناس.

وهذه مسألة يحتاج إليها العلماء دائما في أنهم يطبقون النصوص على ما عليه حال الناس، ومن الناس ومن أهل العلم من يظن أن يأخذ العلم على أنه أداة، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يأخذ العلم على أنه صنعة وأداة وتعليم وتأليف، وإنما أخذه على أنه يأخذ ما تعلم في أنه يدعو إليه ويجهر بتلك الدعوة ويجاهد في الله حق جهاده بقدر ما أعطاه الله جل وعلا وأتاه.

لهذا تميز مبكرا بأنه كان يدعو ويناظر ويبحث في تلك المظاهر الشركية والمظاهر البدعية التي كانت في زمنه في بلده وفي غيرها من البلاد، والعلماء وافقوه كما ذكر في رسالة له قال: عرضت ما عندي على عدد من علماء مكة والمدينة والأحساء والأمصار وعلماء نجد والأمصار فوافقوني على ما ذكرته في التوحيد. وهذا صحيح لأنه أكثر

العلمـاء في ذلك الـزمن؛ بل وما قبله يتفقـون على معـنى التوحيد إجمالا وعلى بعض التفصيلات فيه وكذلك على إنكار الشرك وعلى بعض أفراد الشرك، ولهذا كان لما نظر فيه من الأدلة وفي الواقع له الأثر في أن تتمحض دعوته رحمه الله تعـالى إلى التوحيد الخـالص والنهي عن الشـرك بالله جل جلاله.

مكث يقرأ ويتعلم إلى أن توفي والده الشيخ عبد الوهـاب رحمه الله تعـالى، ولما تـوفي كـان الشـيخ قد أصـبح يافعا وقويـا، وأصـبح يعلن بعض ما عنـده من الفهم لنصـوص الكتاب والسنة والإنكار للمنكرات التي في زمنـه، وهـذا كـان في حريملة أولا وفي العيينة ثم في بعض البلاد من القـرى الـتي حولها الجبيلة ونحوهـا، حـتى صـار يعـني في مجـال التاريخ حتى صار لتقـاؤه بـأمير الدرعية محمد بن سـعود بن مِقْـرن سـنة 1157 وعنه تكـونت الدولة السـعودية بعد ذلك العهد.

في الفـترة الأولى تلك للشـيخ محمد بن عبد الوهـاب لم يكن في تلك الفـترة الأولى قبل بـدأ الدولة لم يكن مقتصـرا في تلك الفترة على تعلمـه؛ بل كـان يجمع ما بين العلم وما بين الـدعوة وما بين الإنكـار وكتابة الرسـائل، وكـان لطيفا للغاية فيما ينكر فيه وفيما ينصح به؛ حتى إنه كـان يـأتي إلى من هم عند قبة الصحابي الجليل زيد بن الخطاب الـذي قُتل في بلد تسـمى الجبيلة قريبة من الريـاض قريبة منها في وقعة اليمامة المعروفة، وكـانوا يـأتي الجهـال كما في عـدد من بلاد العـالم الإسـلامي يعتقـون في ذلك الصـحابي ويطلبـون منه أشـياء لا تجـوز أن تُطلب إلا من الله جل وعلا

مثل شفاء المرض ومثل فتح الخيرات وترك أو دفع الشرور عن الإنسان ونحو ذلك، فكان يأتيهم بالقرب من القبر فإذا سمعهم يقولون: يا زيد بن الخطاب افعل كذا أو أعطنا أو اشف مرضانا أو زوج بنتنا أو اشفع لنا في كذا. كان يقول لهم بعبارة هادئة: الله خير من زيد، وكرر ذلك أشهرا كثيرة، الله خير من زيد، الله خير من زيد، يرشدهم إلى أن التوجه إلى الله وحده، لاشك أنه هو المأمور به وهو المطلب في ذلك، حتى قوي واقتنع به أمير البلدة فأمره بأن تُهدم تلك القبة وكانت تلك من أول مظاهر دعوته إلى التوحيد ونهيه عن الشرك، فخشي أهل البلد أن يفعلوا ذلك وخشي الأمير أن يفعل شيئا بقبة الصحابي الجليل زيد بن الخطاب لما يعتقدون فيه من السر والوَلاية ونحو ذلك، حتى قال له الشيخ محمد رحمه الله: أنا أبدأ بذلك فأخذ يهدم القبة فلما رأوه لم يصبه شيء أقدم الناس على هدمها.

في قرى متجاورة انتشر الخبر حتى صار هناك أرضية صالحة لهذه الدعوة، بحيث سمع بها أكثر القرى بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، ثم بعد ذلك حصل في قصة معروفة وطرد العيينة بسبب سياسي طرد من العيينة إلى الدرعية، ثم نصر دعوته الإمام المجاهد محمد بن سعود رحمه الله تعالى، وتكونت الدولة السعودية الأولى التي كانت ممثلة بحق لما كان يذهب إليه الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

إذا تأملنا هذه السيرة الوجيزة، فمرحلة الدعوة والدولة يمكن أن نبين شيئا من ملامح الدعوة -دعوة الإمام

المصلح- في الفترة الأولى؛ ولكن في الفترة الثانية ظهرت بوضوح حتى سمع بها القاصي والداني.

أول ما تميزت به الدعوة؛ بل هو لبّها وروحها أنها دعوة إلى توحيد الله جل وعلا في ربوبيته وإلهيته وفي أسمائه وصفاته، وكان أكثر ما يقع فيه الناس إذ ذاك سواء في نجد أو في الحرمين أو في عدد من بلاد المسلمين في الجزيرة أو في غيرها أكثر ما يقعون فيه من أنواع الشرك المختلفة سواء أكان الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر جهلا منهم ولأجل عدم ينازعهم في ذلك في تلك الأزمان أو من يجهر بالتنبيه لهم والإغلاظ عليهم في ذلك.

فقام رحمه الله تعالى بالدعوة إلى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وألّف فيها عددا من الكتب المختلفة التي هي سهلة في عبارتها؛ ولكنها موضحة لمقصود تلك الدعوة ككتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وككتاب ثلاثة الأصول، وكتاب كشف الشبهات، والقواعد الأربع، ونحو ذلك من الكتب والرسائل التي تبيّن هذا الأصل العظيم.

الدعوة إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة كانت سمة لما دعا إليه الشيخ رحمه الله تعالى وركز على توحيد العبادة بأن لا يعبد إلا الله جل وعلا، فنبه الناس إلى أن أنواع الشرك الذي يقع وقع فيها الجاهليون في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنها يمكن أن تتكرر ويقع فيها الناس بعد ذلك، فكان الناس يعتقدون في نجد؛ يعني في بعض البلاد يعتقدون في بعض الأشجار وفي بعض الأحجار وفي بعض الجبال وفي بعض الآثار ويتمسحون بها، ويقولون هذه البقع حل فيها الرجل الصالح، مادة فيها رجل الصالح، وهذه فيها الولي،

وهذا قبر فلان ونحو ذلك وتعلقت القلوب تعلقا خفيا بهـؤلاء الأولياء بتلك البقع والأماكن.

فأعلن دعوته بأن حق الله جل وعلا أن تجعل العبادة فيه وحده سبحانه وتعالى، فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين اسـتحقاقا، وهو الـذي يسـتحق العبـادة سـبحانه وتعـالى، وبيّن لهم معـنى العبـادة وأن العبـادة اسم جـامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، فكما أنه لا يقـول أحد بأنك تصـلي للـولي فلان أو تصـلي للنـبي عَلَيْـهِ الصَّـلاَةُ والسَّـلاَمُ وتجعل صلاتك له وليس لله، فكذلك الدعاء، فإنما يدعا الله وحـده لا شـريك له فكأنما الصـلاة لا تقبل إلا بمفتـاح وهو الطهـارة، وكـذلك العبـادة لا تقبل إلا بمفتـاح وهو التوحيد والإخلاص، فإذا أوقع العبد شكل الصلاة وهو لم يتطهّر قالت الناس هو قد صـــــــلّى؛ ولكنه عند الله جل وعلا لم يصل لأنه لا تقبل الصـلاة إلا بطهـور، وكـذلك أنـواع العبـادة يتعبد ولكنه ليس بمخلص يعني ليس بموحد لله جل وعلا بالعبـادة، فـإذن لم يأت بمفتاح قبول العبادة الـذي أمر الله جل وعلا به في قوله ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[الزمر:3]، وقال جل وعلا ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[الزمر:3] وقال الله جل وعلا لنبيه ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي**﴾[الزمر:14] وقال لنبيه أيضا ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ**﴾ يعني تنزيها لله وتعظيما ﴿**وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف:108].

فـدعا إلى توحيد العبـادة وجهر بـذلك وأغلظ أنه إذا قـدر على أي مكـان يُتوجه فيه إلى غـير الله جل وعلا فإنه يهـدم ذلك المكـان إنكـارا للمنكر وتحقيقا لما يحبه الله ويرضـاه وإفرادا لله جل وعلا بالعبادة.

فكسر عـددا من الأشـجار، وهـدم عـددا من القبـاب على القبور ونحو ذلك لأجل أن لا تعلق الجهال بها.

كان رحمه الله بدعوته إلى التوحيد –توحيد العبادة- يجعل توحيد العبادة هو الأصل؛ لأنه من وحد الله في العبـادة فقد وحد الله في الربوبية؛ يعني من عبد الله وحده دونما سـواه، لم يتجه إلى أحد للعبـادة لم يسـتغيث لغـير الله، ولم يتوكل على غير الله ولم يخف خـوف السر من غـير الله، ولم يعتقد اعتقاد السر في بعض الأولياء والأنبيـاء، فإنه في داخله مقر بـأن الله وحـده هو ربـه، بخلاف غلاة المتصـوفة في ذلك الزمان إلى زماننا هذا، فـإن منهم من كـان يعتقد أن الأرض فـوض الله جل وعلا أمرها إلى أربعة من الأوليـاء أو إلى سبعة من الأولياء أو في بعض البلاد إلى أربعين من الأبدال يصرفونها كيف يشاءون فتوجه النـاس إلى هـؤلاء الأقطـاب أو كما يسـمونه الغـوث أو نحو ذلك في اعتقـادات طهر الله جل وعلا منها هـذه البلاد بفضل الله جل وعلا أولا ثم بفضل قيام الدولة هذه الدولة بحقوق التوحيد ثانيا.

ثم دعا إلى توحيد الأسـماء والصـفات، وهـذا يـدخل في أركان الإيمان -الإيمان بالله- وكان رحمه يحاور، مِن صـفاته العامة أنه كان يحاور ولم يكن متصـفا بـالحكم على النـاس دون محاورته، فمرة بلغه عن أحد من علماء الأحسـاء أنه -وعبد الله بن عبد اللطيف الأحسـائي- أنه كـان ينكر بعض ما

قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته، فكتب إليه رسالة موجودة طويلة فيها فوائد كثيرة موجودة في الرسائل والمسائل؛ موجودة في الدرر السنية وفي تاريخ ابن غنام وغيرها، بحث معه وأجاب على عدة مباحث وأسئلة.

قال له في آخر رسالته: وإني لما زرتك في الأحساء رأيتك كتبت على أول كتاب البخاري فيما قرّره من أن الإيمان قول وعمل رأيتك كتبت عليه في هامش كتابك هذا هو الحق، وسرني هذا منك جدا؛ لأجل مخالفته للعلماء الذين أخذت عنهم؛ لأن الأشعرية في ذلك الوقت في الأحساء وكانوا لا يقولون بهذا الأصل؛ لأنهم من المرجئة هو سرّه أن هذا يخالف؛ لأن هذا دليل يبحث عن الحق وما دام علق على أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تدل على أن الإيمان قول وعمل بأن هذا هو الحق دل على رغبته في الخير قال بعد وهذه من الأشياء المهمة التي ينبغي لطلاب العلم والدعاة أن ينتبهوا لها، وقال له في ذلك: وإني لأدعو – مع أنه خالفه وانتقده في أشياء- قال له: وإني لأدعو لك في صلاتي، وأسأل الله لك أن يجعلك فاروقا لهذه الأمة في آخر هذا الزمان، كما جعل الله عمر بن الخطاب فاروقا لهذه الأمة في أولها.

وهذا لين وتواضع ومحبة.

وكل داعية إلى الله جل وعلا إذا كانت دعوته مع اللين والرغبة والمحبة في نفع الخلق وعدم التعالي عليهم فإن هذا ينفع كثيرا برسالة حسنة الأسلوب وبكلام طيب فإنه ينفع، ثم إذا لم يكن ن إلا الإيذاء والعناد فإن حق الله جل وعلا أعظم من حق المخلوق كما هو معلوم.

وكـانت له مراسـلات كثـيرة في تقرير هـذا الأصل وهو توحيد الله جل وعلا وله كتابات في ذلك متنوعة.

من الأصــول العامة الــتي ركّز عليها ودعا إليها العقيــدة العامة في الـدعوة إلى الإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر والقدر خـيره وشـره على ما كـان عليه السـلف الصالح؛ لأنه كان في زمنه في الجزيرة كلّها كان هناك عــدة مذاهب كثيرة في مسائل الاعتقـاد، وكـان مـذهب السـلف لا يكاد يُذكر فيها، وإنما كان الأكـثرون على مـذاهب المتكلمين، مـــذهب الأشـــعرية أو الماتريدية أو الزيدية أو نحوها من المذاهب.

فقرر الإمام رحمه الله تعالى مذهب السلف الصـالح ودلنا عليه وناظر في ذلك؛ حـتى انتشر ورأى النـاس في زمنه من العلمــاء وطلبة العلم، رأوا في مــذهب الســلف الصــالح البسـاطة والوضـوح وأنه النقـاء الـذي لا يـدخل طـالب علم العقيـدة لا في مبـاحث كلامية ولا في منـاظرات لاهوتية كما يقـال أو تـدخل فلسـفة غـير محمـودة، فـدعا إليها ببسـاطة وقال: إن الأصل الشرعي أن لا نتجاوز القرآن والحديث، كما جاء في كتاب الله قلنا به، وما جاء في سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قلنا بـه، وما عـدا ذلك فإنه يعـرض على الكتاب والسنة، فإن كان فيها فإن الحق قبولـه، وإن كـان ما قيل بعد ذلك ليس فيهما فإن الحق رده؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وافترقت هذه الأمة على ثلاث**

وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله قال «**هي الجماعة**» وفي لفظ قال «**هي من كان على مثل ما أنا عليه واليوم وأصحابي**»، وهذا يدل على أن الأمة ستفترق، وإذا كانت الأمة ستفترق بخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصادق وقوله (**كلها في النار إلا واحدة**) كلها في النار؛ يعني وعيد لها وليس معناه أنها مخلدة في النار ولكن متوعدة على بدعتها وعلى انحرافها بالنار؛ لأن الفرق الخارجة عن الإسلام لا تدخل في الثنتين وسبعين هذه ولما قال (**كلها في النار**) وجب أن يُرجع إلى الحق وجب أن يُرجع إلى ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ونحن نعلم يقينا بأنه في مباحث الاعتقاد في مسائل الإيمان والغيبيات أو الأسماء والصفات بعدم الأخذ بتأويل الغيبيات ولا الأسماء والصفات ولا الميزان ولا أخبار الجنة والنار ولا ما يتصل بذلك وبالقدر إلى آخره كل ما هو من سبيل الغيب مما هو لا ندركه إلا بخبر الله جل جلاله أو خبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا مجال لنا إلا التسليم بخبر الله جل وعلا وخبر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وإذا كان كذلك فإنه وجب على جميع أن يستسلمون للنص.

وهذه البساطة في العقيدة هي التي كان عليها السلف الصالح، ولهذا كان من كلام والد إمام الحرمين الجويني في رسالة له قال: لما تأملت الأقوال المختلفة في الصفات وفي العقيدة ومذهب الأشعرية وغيره من المذاهب التي كانت في زمنه، لما تأملت ذلك ونظرت فيما كان النبي صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه وجدتُ أنه كان يتلو القرآن ويُخبر بحديثه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ فيما يتّصل بالغيبيات وفي الخبر عن الله جل وعلا وصفاته وأسمائه وكان يحضر مجلسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ –هذا الكلام العالم والد إمام الحرمين في رسالته المعروفة- قال: كان يحضر مجلسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ الأعرابي ومن هو من الحضر، وكان يحضره الذكي وكان يحضره غير الذكي، وكان يحضره العالم وكان حضره غير العالم، وكان يحضره القوي الملكة والإدراك ويحضره أيضا غير قوي الملكة والإدراك، ومع ذلك كان يخاطبهم واحدا بالكتاب والسنة ولم يأتِ في مرة من المرات أن قال ليس معنى هذه الآية هو كذا وإنما معناها على خالف ظاهرها؛ يعني في نصوص الغيبيات ولم يقل لهم مرة إن الاستواء ليس معناه كذا وإن العلو هو علو القهر وليس علو القدر، وإن السمع أو إن القوة أو الرحمة تفسر بكذا والغضب يفسر بكذا، مما هو خلاف ظاهره؛ بل أطلق ذلك ولم يعقبه ببيان فدل بيقين أنه أراد ظاهر ما دلت عليه النصوص.

وهذا البساطة بحيث إنه يمكن أن تلقِّن العقيدة للصغير وللكبير بسهولة بدون الدخول في تفصيلات كلامية وتفصيلات كبيرة.

وهذا هو الذي دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تأسيس عقائد السلف إجمالا وتفصيلا، في مسائل الصفات وفي مسائل الغيبيات الملائكة والكتب والرسل، وفي مسائل الإيمان وأنه قول وعمل واعتقاد خلافا لمذاهب المرجئة في أن الإيمان قول أو أنه قول

واعتقاد أو أنه اعتقاد فقط على اختلاف مذاهبهم في ذلك، أو الكلام في الجبر في القدر، أو القول بأنه لا قدر في مسائل القدر الجبرية والقدرية، فنحج بالناس إلى ما كان عليه الناس في القرن الأول الهجري وقرر ذلك بما قرره أئمة الإسلام أبو حنيفة رحمه الله ومالك رحمه الله والشافعي رحمهم الله والإمام أحمد رحمهم الله تعالى في هذه المسائل العظام.

ثم بعد ذلك الشيخ رحمه الله انتقل بالناس إلى مرحلة تالية وهي تحرير الناس من التقليد، وهذا نأتيه سواء في مسائل الفقه أو في مسائل الاعتقاد، وأرشد الناس إلى العناية بكتب الحديث والسنة، ونَجْد بالذات في ذلك الزمان لم يكن فيها من كتب الحديث إلا البخاري وأجزاء من البخاري، والشيخ رحمه الله تعالى كان مهتما بالسنة والحديث، فحينما رحل إلى مكة والمدينة فأخذ من العلماء الأحاديث وكتب السنة وكان أول ما أجيز في ذلك الحديث الأول المعروف وحدثه به الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف عن شيخه أبي المواهب الشافعي الحنبلي المعروف وهذا الحديث هو «**الراحمون يرحمهم الرحمان ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

وأدخل الشيخ رحمه الله في نجد عند طلبة العلم فصارت تدرّس وهي لم تكن تدرّس، كان غاية ما في الأمر عند الفقيه في ذلك الزمان أن يقال كان يفتي على المذاهب الأربعة، كيف كان يفتي على المذاهب الأربع؟ كان يحفظ أربعة متون، كان يحفظ في المذهب الحنفي متنا، وفي المذهب المالكي متنا، وفي المذهب الشافعي متنا، وفي

المذهب الحنبلي متنا، وإذا أتاه السائل يستفتيه قال له على أي مذهب أنت؟ فيقول على مذهب كذا فيقول الفتوى كذا على المذهب، فكان يثني على فلان من الناس بأنه كان يفتي على المذاهب الأربعة، أو كان يقضي بالمذاهب الأربعة، ولاشك أن هذا ليس دين الله جل وعلا.

لهذا يذكر عن أن المرء يخير المستفتي تريد أن أفتيك على أي مذهب؟ الواجب على العالم أن يفتي بما دل عليه الدليل، فإذا لم يجد الدليل دلّ بظهور على المسألة فإنه يأخذ بقول إمام معتبر يقتنع بحجته أو بقوله واجتهاده.

مما يذكر في هذا المقام أن الشيخ منصور البهوتي الحنبلي المعروف مصنف عدد كتب المذهب الروض المربع شرح زاد المستقنع وشرح منتهى الإيرادات وكشاف القناع عن متن الإقناع وغيرها من كتب المذهب والحواشي المعروفة، استفتاه أحد الناس في مكة استفتاه فقال له في مسألة سأله عنها فأجابه، فقال له أحد تلامذته الذين معه قال: يا شيخ منصور هذه تخالف ما ذكرته في كتابك كذا وكذا. قال: نعم لأن الكتاب ألفناه على المذهب للتعليم. -أو نحوها الوهم مني- وأما الفتوى فهي لما سأسأل عنه يوم القيامة.

وهذا الحس الذي عند العلماء، الشيخ رحمه الله في نَجْد أول ما بدأ بالدعوة جعل الناس يهتمون بالدليل ويحرصون عليه.

وهنا لابد من التنبيه إلى أن الاجتهاد الذي دعا إليه الشيخ رحمه الله تعالى عورض بشدة حتى إن من الناس من كفّر الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأجل أنه ادعى الاجتهاد، قالوا:

والاجتهـاد قد قفل بابه منذ أزمـان لأنه لا وجـود للشـروط المجتهد. وردّ عليه الشيخ بعبارة قال: هذه الشروط التي جعلوها للمجتهد لعلها لا توجد كاملة في أبي بكر ولا في عمر رضي الله عنهما؛ لأنهم اشترطوا في المجتهد أن يحفظ كتاب كذا، وأن يحفظ من الأصول كذا، وأن يحفظ من علم البلاغة كذا، وهذه أشياء متأخرة والاجتهاد إنما هو فقه النصوص والسنة وإنما تفقه باللغة العربية وبما فهمه الأئمة.

فالاجتهاد مبني على أن يكون العالم عنده الآلة للاجتهاد الآية العربية لفهم النصوص، وأن يكون مطلعا على أقوال الأئمة السابقين، وأن لا يكون قولا يخالف ما عليه علماء والأئمة.

ولهذا لا يعرف لإمام الدعوة رحمه الله في مسألة أنه قال بخلاف قول الأئمة الأربعة، لا يعرف أنه أفتى في مسألة لا توافق أحد من الأئمة؛ بل لابد أن تكون في مسائل الفقه مما اجتهد فيه وخالف مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن تكون موافقة لأحد المذاهب الأخرى حرصا منه على هذه المسألة.

ولهذا لما قيل له رحمه الله على كلمة قالها قيل له: إنك لا تلتزم بالمذهب قال في رسالة وأكثر ما في المنتهى والإقناع –يعني من كتب المذهب الحنبلي- مخالف لنص أحمد وقوله. وأكثر يعني كثير ليس أكثر يعني الغالب أفعل هنا بمعنى فعيل؛ يعني أكثر يعني كثير مما في الإقناع والمنتهى مخالف لما في مذهب أحمد أو لنص أحمد وقوله.

ثم بعد ذلك لما شنّعوا عليه كثيرا بأنه يخرج عن المذاهب إلى آخره ألّف رسالة آداب المشي إلى الصلاة انتزاعها من

كتاب كشّاف القناع عن متن الإقناع انتزاعا حسنا وجعلها على فوص المذهب لأجل التعليم.

هذه الحركة حركة الاجتهاد ودعوة العلماء أن لا يلتزموا في كلامهم بمذهب معين لاشك أنها أطلقت بالنفوس وللعلماء أطلقت لهم البعد والتقليد والتبعية، وأول التقليد يكون به الاتباع أن يكون المرء حريصا على فهم كلام الله جل وعلا وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما إذا كان وصاب أحد الناس مليئا بقول فلان وفلان ووصابه وقلبه قد لا يوجد فيه إلا قليل من كلام الله جل وعلا وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا لاشك أنه مذموم، فإن طالب العلم يجب عليه أن يحرص أكثر الحرص على حفظ القرآن وعلى حفظ السنة قدر الإمكان، وبعد ذلك إذا حصّل ما حصل منهما، فإنه يقبل على أهل العلم في فقه النصوص وتحصل عنده بعد ذلك ملكة.

لكن الشيخ رحمه الله فرق فرقا مهما في مسألة الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد يكون في الفتوى وفي طلب العلم، ولا يكون في القضاء.

ففي الفتوى تجد أنه لم يلزم الناس بمذهب معين؛ لكنه في القضاء أوصى القضاة وأمرهم بأن يكون الحكم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ما السبب في هذا التفريق وما بين القضاء؟ أن القضاء خصومة والفتوى فيما بين المرء وبين ربه جل وعلا، والخصومات تقع متشابهة، فلو قال لفلان من الناس في مسألة هذه اجتهد فيها قاضي من القضاة ببلد معين، وفي البلد الذي بجانبه قضى فيها بمذهب آخر وهم تحت ولاية واحدة، فصار هناك

اختلاف في القضاء هذا يقضي بحكم هذا يقتل على مذهب المالكية والثاني يقول لا يقتل فيهدر دمه بمذهب ولا يهدر دمه في مذهب، أو تطلق منه زوجته في مذهب ولا تطلق زوجته في مذهب، ويحصل في هذا خلل كبير في الناس فكان من السياسة الشرعية الحكيمة أن يجعل الناس في القضاء على مذهب الإمام أحمد بن حنبل أن الاجتهاد لا ينقض باجتهاد باتفاق العلماء، حتى من هم على مذاهب أخرى عندهم أنه إذا حكم قاضي من أي مذهب فإنه يكون عندهم صحيحا باعتبار ما حكم به المذهب؛ لأن الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر؛ لأنه حينئذ تكون الأمور فوضي.

صفحة أخرى من صفحات الدعوة والعناية بالإمام رحمه الله تعال أنه اعتنى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرا، فلأول مرة وجد ترتيب أهل الحسبة وهم النواب كتسمية ذلك الوقت، أو يسمونهم المطاوعة في ذلك الوقت؛ يعني الذين يأمرون الناس بطاعة الله جل وعلا أو في عُرفنا الحاضر أعضاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرتّب في كل بلد أهل الحسبة يحتسبون وينكرون ويأمرون الناس بالمعروف وأداء الصلاة في الجماعات وينهون عن المنكر، ورتّب في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورتّبه على ما عليه أصول أهل السنة والجماعة، وأرسل في ذلك الرسائل؛ بأنه لا يجوز أن ينكر منكر ويَحدث بعد ذلك منكر أكبر منه لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح ودرء المفاسد وتقليلها.

فإذا يأتي أحد وقال أنا أريد أنا أريد أنكر منكرا ومن هذا المنكر يحدث منك أكبر منه، فلا تنكر المنكر الأقل بقاؤنا في المنكر الأقل خير من أن يفضي إلى ما هو أكبر.

وهنا قصة تبين حكمة الشيخ رحمه الله في هذه المسألة لأنه مرة كان هناك صراع وقتال بين قبيلتين وطلبهم الإمام في ذلك الزمان الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى، وأتوا فأصلح بينهم الإمام والشيخ محمد بن عبد الوهاب واصطلحوا وكفوا عن الغارات وعن القتال، وهم في المسجد كان أحد شيخي القبيلتين لما أراد أن يسجد سقط من جيبه أنبوب شرب الدخان كان سابقا في أنوب -ما رأيته لكن بما يصفون- أنبوب طويل يحشى بالتبغ ثم بعد ذلك يشعل في أسفله يمتصه في آخره، وكان في ذلك الوقت يعزر من كان يشرب من كان يشرب التبغ يعزر، وإذا وجده أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أحد فإنهم يعزرونه، وسقط من هذا الرجل في المسجد والشيخ رحمه الله بجنبه يراه، ولما فرغ من الصلاة أتوه الطلاب وبعض الناس عنده طلاب العلم وبعض أهل الحسبة قالوا فلان معه كذا وكذا، قال: ما رأينا شيء. قالوا: معه كان في جنبك وسقط. قال: ما رأيت شيئا أتركوه. ونهرهم حتى تركوا سكتوا عن المسألة وهم مستغربون.

فلما مر الزمان أوضح لهم أن هذا الآن أصلحنا بينهم في مسألة قتال، هم اقتتلوا والآن قبلوا بالصلح فنأتي ننكر عليه مسألة شرب الدخان، هذا ليس من الشريعة، وهذا من حكمته؛ لأنه لو أنكر عليه وعدل عن صلحه ورجع وسالت الدماء من جديد.

فكان من سيرته رحمه الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وثَم عدة رسائل موجودة عندكم أنه كان يوصي أنه كان يوصي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالقيام بالحسبة كما قال جل وعلا لأن الأمر والنهي من سمة هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[آل عمران: 110]، وقال جل وعلا ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران:104]، فرتب ذلك وبين لهم درجات الإنكار شيئا فشيئا حتى صار لأول مرة ترتيب خاص شيئا فشيئا حتى صار لأول مرة ترتيب لأهل الحسبة في ذلك.

هذه سمة مهمة من السمات التي تميزت بها دعوة الإمام رحمه الله تعالى.

من السمات المهمة التي تميّزت بها الدعوة أنه رتّب رحمه الله بما أمر به إمام وقته الإمام محمد بن سعود وبعده عبد العزيز بن محمد بن سعود والأئمة من آل سعود بعد ذلك رتبوا الوضع الإداري للإمارات في نجد، وهو لأول مرة تكون الإدارة في الحكم وفي الجهات الشرعية، وثم عدة رسائل تبين ذلك موجودة محفوظة في التاريخ، وفي كتب الدرر السنية والرسائل والمسائل وغيرها، رتبوا أن يكون مثلا أهل الحسبة يرجعون إلى القاضي، والقاضي يرجع إلى الأمير، والأمير في بلد ما إذا ما استطاع أن يحل المسألة فإنه يرفع إلى الدرعية يعني إلى الإمام، وثم بعد ذلك ينظر فيها الإمام ويستشير في ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا؛ وكتب في هذا رسالة وقال لا تستعجلوا في أن ترفعوا إلينا

كل ما يحصل عنـدكم؛ بل راجعـوا القاضـي، والقاضي مع الأمير يبحث فإن صلح الأمر واستقام وإلا فـيرفع الأمـير إلى الإمام، وحينئذ ينظر في الأمر إن شاء.

وهـذا الـترتيب الإيجـابي ونـواة لـترتيب جديد لم تعهـده المنطقة قبل ذلـك، وهـذا هيأ أن تكـون الإدراة إدارة الدولة في ذلك الحين إدارة منظمو وقوية وليس فيها خلل.

ولهـذا لم يمكن انهيـار الدولة السـعودية الأولى بخلل في داخلهـا، وإنما كـان بظلم من العبـاد كما جـاءت العسـاكر التركية في ذلك الوقت وهدموا الدرعية وقضوا على الـدعوة في هذا الأمر.

وثَم ربط تاريخي ربطه المـؤرخ الجـبركي في كتابه تـاريخ ونقله عنه الأستاذ محمد محمود شاكره في كتابه رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ربط ربطا حسنا بين بدأ الحملة الفرنسية على مصر وبين الحملة المصـــرية أو التركية على الدرعية أو على الدولة السـعودية الأولى، حيث إن الحملة الفرنسـية لما أتت بعد بضع ســـنوات فقط لما وُلي محمد علي على مصر هو كان ألبـاني كـان قائد الجيش، بالمشـهور أرسـله الـوالي التركي إلى مصر لينظر في حال المماليك وفي حال الولايـة، ثم اتفق مع الفرنسيين في قصة معروفة تاريخيا، المقصـود أنه بعد مجيء الحملة الفرنســية على مصر وتـــولي محمد علي ببضع سنوات أربع أو خمس سـنوات بـدأت الحملة على نجد وعلى الدولة الســـعودية الأولى خلصـــوا منها مـــؤرخ الجبركي والأستاذ محمد شاكر بعبارة موجزة ولكنها منبئة.

خلصوا منها إلى أن الغـرب درسـوا أن هـذه الحركة تتميز بشـــيء وهو تخليص النـاس من التقليد والتبعيـة، وتلخيص

النـاس من التقليد والتبعية والصـوفية ونحو ذلك يهـيئ روح الجهاد عند الناس، وإذا قام في المسـلمين روح الجهـاد فإنه لابد أن يكـون توسع وبالتـالي فـإن هـذا فيه خطر على المصالح.

وهذا في الواقع عبّر عنه بعض المستشـرقين من الكتـاب بقوله لما ذكر شيخ الإسلام بن تيمية قال: **لقد زرع ابن تيمية قنابل على طول العلام الإسلامي، أتى بعده ابن عبد الوهاب فجرها.**

يعـني وهـذه نظـرة للمستشـرق لأنهم كـانوا يدرسـون ويتأملون ما كانوا يأخذون بـالظواهر يأخـذون بالحقيقـة، إذا كان الدعوة ليس فيها تقليد فيها دعوة إلى الدليل، فيها دعوة تحقيق الحـق، فيها دعـوة إلى توحيد الله جل وعلا، وأنه لابد من توحيد الله جل جلاله ولابد من تحكيم الشريعة ولابد من الأمر بذلك والجهاد فيه، فإذن لن يكون هناك ولا مـوالاة مع الكفار ولا خضوع أو ترك للجهاد في سبيل الله.

لهذا تميزت الدعوة أنها قـامت بالجهـاد وكـان جهـادا ليس جهاد طلب، وإنما كان جهادا لأجل دحض المظاهر الشركية، كانوا يراسلون أهل بلد معين أهل البلد هذا، أهل البلد هـذه عنـدكم من المظـاهر الشـركية كـذا وكـذا التوحيـد، يرسل الرسـائل رحمه الله تعـالى، حـتى إنه أرسل رسـائل الـوالي العثمـاني، أرسل رسـائل المغـرب في ذلك الـوقت، أرسل رسائل لعدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام عبد العزيز بن محمد أرسلوا رسائل كثيرة في تبـيين حقيقة الـدعوة، ثم أتـوا النـاس بعد ذلك وجنـوا عليها ونسـبوا إلى الشـيخ وإلى

الـدعوة أشـياء الله جل وعلا تـولى دفاعه عنهم جل جلاله ورحمهم الله تعالى.

المقصـود من ذلك أن الـدعوة تمـيزت بهـذه المـيزة وهي أنها حـررت المجتمع أحيت في النـاس روحا جديـدة، قـوة جديـدة، نظـرة لأشـياء جديـدة، لم يكونـوا يألفونهـا؛ ولـذلك حوربت أتم حرب وقضي عليها في الدولة السعودية.

الدعوة مورست في الدولة –استطراد يسـير- مورست في الدولة الثانية فقـامت على دعـوة، وكـذلك الملك عبد العزيز رحمه الله وكانت كلها مستمسـكة بأصل هـذه الـدعوة وهي دعوة الإمام المصلح السلفية، الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله لم يـأت بشـيء جديـد، وليس داعيا غلى مـذهب يخصه، ومن رأى مسألة من المسائل يخـالف فيها المـذاهب الأربعة حينئذ يدلي بها؛ ولكن الشيخ يقول أنا ما خلفت أحـدا يعـني ما خـالفت الأئمة الأربعة إنما دعـوت إلى ما دعا إليه الأئمـة، إلى ما دعا إليه الإمـام مالك والشـافعي وأحمد في أصول الاعتقـاد وسـفيان الثـوري وسـفيان بن عيينة والإمـام ابن جرير وإسـحاق ونحـوهم من الأئمـة، وفي الفـروع أنا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلا فيما خـالفوا الـدليل فإنا كلام الله جل وعلا وكلام رسـول الله صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحق أن يطاع.

وهـذا الأصل مهم أن يُعـرف، وهو أن الـذين يسـمون الدعوة أنها دعوة وهابية أو مـذهب وهـابي فهـذا فيه جناية وهنـاك من جـنى جناية أكـبر من ذلك ممن كتبـوا في عصر الشـيخ وفيما بعـده جنـوا أكـبر جناية حينما كتبـوا في بعض رسائلهم كما في الدرر السنية في الرد على الوهابيـة، قـالوا

عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: إن الظاهر أنه كان يدعي النبوة. وقالوا الظاهر أنه كان يأخذ من النساء أكثر من أربع، وكان يأمر من تبعه أن يحلقوا رؤوسهم عنده حتى قال بعضهم في كتاب له، يقول وجاء في الحديث عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في كتاب الرد على الشيخ محمد ابن عبد الوهاب – يقول يخرج في ثاني عشر قرنا من الزمان رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براثنه يحدث فتنة يعتز فيها الأراذل والسفل، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وقال بعدها: وهذا الحديث وإن لم يعرف من خرجه -لأن هو الذي وضعه لأنه هو الذي كذبه- لكن شواهد الصحة تدل عليه.

ومع ذلك كان الإمام رحمه الله صابرا محتسبا وما التفت إلى هذه الأقوال التي تعتدي على شخصه، لا تجد في رسالة إلا أنه يدافع عن الدين.

حتى إنه قيل له مرة إنك تقول إني لو قدرت على القبة التي على قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهدمتها؟ قال: جوابي أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهذا ولاشك ينبئ الدارس للدعوة ولسيرة الشيخ أنه كان في دعوته يريد الحق وهو أن يدعو الناس إلى ما كان عليه السلف الصالح من عبادة الله وحده لا شريك له، ومن عدم التعلق بالأموات والاستغاثة بالأولياء والاعتقاد فيمن ذهبوا إلى ربهم، ونرجوا لهم عنده المنزلة العليا والزلفى برحمة الله جل جلاله، فيمن كانوا يعتقدون في الولي، كل بلد فيها ولي، وكل بلد فيها قبر، وكل بلد فيها قبة.

حتى في وقت قريب ربما رأيتم بعض الصور في مكة كانت مقبرة المعلاق كانت كلها قباب قبر السيدة خديجة، وقبر السيد فلان، في كل بلد حتى آمنة أم النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ رأيت بعض الصور الفوتوغرافية إلى أن الحجاج يذهبون يمكثون عند قبرها كان عليها قبة كبيرة يمكثون عدة أيام لابد يوم أو يومين أو ثلاثة يمكثون عند القبر، وفعل الجهال هذا لاشك أنه ليس بمرضي شرعا بل هو الشرك المحقق الذي أخبر الله جل وعلا به ونهى عنه عبادَه وأمر المرسلين بالنهي عنه.

الحديث عن الدعوة وعن سيرة الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله يتنوع ويتشعب.

لكن نختم بسمة مهمة من سمات تلك الدعوة أن الدعوة تميزت عن كل الدعوات التي سبقتها بأنها دعوة ناصرتها دولة، وأنها لم تكن دعوة نظرية أو علمية، وإنما كانت دعوة استجابت لها دولة، وقام لها كيان، وأثرت في الجزيرة وأثرت في بلاد كثيرة، حتى إن عددا من الباحثين سواء من المسلمين أو غير المسلمين أرجعوا كثيرا من الحركات الإصلاحية سواء كانت السلفية أو غير السلفية في العالم الإسلامي إلى التأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فقالوا مثلا إن الشيخ محمد عبده المصري وجمال الدين الأفغاني إنهم ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقالوا إن السنوسي ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقالوا إنه في السودان المهدي ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقالوا وقالوا في دعوات لا يمكن أن توصف بأنها دعوات سلفية بتمامها؛ ولكن

كل الحركات الإصلاحية نراها بعد الدعوة والدولة وهذا يبين لك حقيقة أن البداية أو سن السنة الحسنة التي سنها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في دعوته، أنها كانت سنة حسنة كان لها الخير الكبير في الجزيرة وفي غيرها.

علماء الجزيرة في مكة في زمن الشريف غانم رحمه الله هناك اتفاق كبير معروف صكوا وثيقة كبيرة اجتمع علماء أتوا من الدرعية من علماء الدعوة منهم الشيخ حمد ابن معمّر وجماعة من العلماء وعدد من علماء مكة من المذاهب الأربعة واتفقوا فيها على أصول التوحيد، وهي موجودة الأصل موجود بأختام الجميع واتفقوا فيها على أن هذا هو الحق، وهذا كان أيضا موافقا عليه من قبل عدد من علماء اليمن مثل الأمير محمد الصنعاني صاحب سبل السلام وصاحب رسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الاعتقاد وصاحب القصيدة المعروفة في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدالية المشهورة وكذلك الشوكاني وعدد من العلماء، وفي جنوب الجزيرة أيضا في عسير و...سليمان في ذلك الوقت عدد من العلماء تأثروا بالدعوة قبل وصولها إليهم كدولة، وكذلك الخليج وفي الشام وفي مصر وفي غيرها.

فالدعوة لاشك كان لها الأثر الكبير في أمصار كبيرة.

لكن لم يكن لها الأثر لو لا فضل الله جل وعلا وآخرا ثم مساندة الدولة، وكل فضل ينسب إلى الدعوة؛ لابد أن ينسب قبل ذلك إلى الأئمة من آل سعود الذين أيدوا هذه الدعوة وإذا نظرنا إلى الدعوات السابقة لعدد من العلماء وجدنا

أنهم لما لم يصن دعـوتهم سـيف وسـنان كـانت دعـواتهم قاصرة.

هذا شيخ الإسلام بن تيمية هو أعلم وافقه وأكـثر اجتهـادا وإنما الشيخ محمد بن عبد الوهاب حسنة من حسنات الشيخ شيخ الإسلام بن تيمية؛ لكن لم يكن لدعوته من التأثير العام والفعلي حـتى في بلـده مـات رحمه الله ولا زالت القبـور الشركية موجـودة ولا زالت عـدد من الأشـياء في بلـده وفي مصر التي ذهب إليها لم يستطع أن يخلص لا النـاس؛ لأنه ما مده السلطان؛ بل كان السلطان في زمنه ضده فسـجن في مصر وسـجن في الشـام كما هو معلـوم ومـات في سـجن القلعة رحمه الله تعالى.

وعـدد من العلمـاء لهم مؤلفـات قوية ولهم إنكـار ولهم معرفة بالسـنة وتـأليف في التوحيـد؛ لكن أين أثـرهم العـام في الناس؟ تجد أن الثر العـام كـان قليلا كـان محصـورا في طلبة العلم الذي تأثروا بهم أو في موجود مصنفاتهم.

أما أثر الدعوة الإصلاحية كـان أكـبر الأثر كما تـرون اليـوم دولة وهناك من تأثر ودعوات كبيرة من البلاد، حتى وجد في جزر بعيدة تدرّس فيها كتب السنة والتوحيد والـدعوة إلى نبذ الشرك والخرافة وأنواع البدع والمحدثات.

وُجد ولله الحمد الأثر الكبير، هذا الأثر لا يكون إلا بدولـة، ولهذا من السمات البارزة لهذه الدولة أن الدعوة نظـرت إلى سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ إنما قـوي لما هـاجر إلى المدينـة، ولما تعهد الأنصـار في بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية بأن ينصروه وأن يؤيدوه؛ حتى قالوا له ما قالوا، ثم قال النبي صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ

وَسَلَّمَ «**بل الدم الدم، والهدن الهدن**» يعني لن استبدل بكم يا أهل المدينة أو يا الأوس والخزرج أو يا الأنصار، لن أستبدل بكم أحدا قالوا له: تخشى أنه إذا نصرك الله أن ترجع إلى مكة قال «**بل الدم الدم، والهدن الهدن**» كما هو معروف في السيرة، وبقي في المدينة عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لأنها دار هجرته ولأن أهلها أهل نصرة دعوته.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما اتفق مع الإمام محمد بن سعود أمير الدعية إذ ذاك قال الأمير محمد أخشى أنك تترك البلد بعد أن يظهر الله هذه الدعوة فقال له -وهو مدون في كتب السير- نفس الكلمة التي قالها إمامه وقدوته محمد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وفي ذلك الوقت عهد ومعاهدة والأمر شديد قبل لا يستحضر المرء السنة قد لا يستحضر تفاصيل لكنه رد عليه «**بل الدم الدم، والهدن الهدن**» وفعلا مكث في الدرعية حتى توفاه الله جل وعلا فيها.

وهذا مما نأخذ منه درسا مهما بأن كل مصلح مخلص لله جل وعلا ولهذا الدين فإنه لابد أن يضع يده في يد من يساند الدعوة، والآن أنتم تنظرون وتعلمون الخير الوفير والعلم الجم ونشر العقيدة الصالحة وما حصل من تحقيق التوحيد ونبذ الخرافة والشرك بأثر الدولة والمملكة العربية السعودية وما قام به الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن رحمه الله في نشر هذه الدعوة في الداخل وفي الخارج واستقصاء من هم على الدعوة من السلفيين في الأماكن ومددهم ونصرتهم مما حصل منه هذا الخير الكثير.

على كل حال هذه سمات متفرقة لهذه الدعوة، ولاشك أن حديثي قاصر عن الشيخ وعن دعوته؛ ولكن هي كلمات تفتح الباب لمن أراد المزيد في دراسة سيرة هذا الإمام المصلح، ودراسة أثر الدعوة والدولة على الناس في هذه البلاد وفي خارجها.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم ممن كتب له القبول، وأصلح له علمه وعمله وبارك له في قوله وفي عمله، ونمّاه له.

كما أسأل الله جل وعلا أن يغفر لأئمتنا ولعلمائنا ولعلماء المسلمين السالفين، وأن يرضى عن صحابة نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان، وأن يجزل لهم المثوبة، وأن يرفع درجة أئمة الإسلام الذين جاهدوا في الله حق الجهاد، وبينوا وجددوا لهذه الأمة أمر دينها حقا فتركوها على أمر بيّن وبتوالى العلماء والمصلحون.

فنسأل الله جل وعلا لهم الرفع في الدرجات والمغفرة في الزلات، كما أن أسأل المولى جل وعلا أن يخص برحمته، وأن يزيد من فضله الإمام المصلح الأوّاب محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ورحم ورفع درجة من نصره وأيده وساعده في دعوته من الأئمة المصلحين من أسرة آل سعود ومن نصر دعوته وتلامذته ومن تأثر بهم إنه جواد كريم.

كما أسأل المولى جل جلاله بأسمائه وصفاته وأن يرينا دائما الحق حقا وأن يمن علينا باتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا وأن يمن علينا باجتنابه، وأن يجعلنا من المتحرين

للحق المنصفين في أقوالهم وفي أعمالهم إنه سبحانه جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

المقدم: جزى الله معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز خير الجزاء على هذه الكلمات الطيبة التي أفاض بها في سيرة الإمام المجدد العلامة القدوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

نجد أن بعض الأسئلة متعلقة بالمحاضرة وبعضها أيضا متعلق بخارج المحاضرة فلعلنا نقدم الأسئلة المتعلقة بالمحاضرة وجميع تقول للشيخ إننا نحبكم في الله ونحن معهم أيضا نحبك في الله

الشيخ: أحبكم الله الذي أحببتموني من أجله.

س1/ ما حكم من يبغض الشيخ المجدد رحمه الله ويقول عنه إنه لا يحب الرسول وآله وسلم، وينفر منه لأنه يحذر من إقامة الموالد، وأيضا يتهم أتباع الشيخ بأنهم وهابيين.

ج/ أولا مسألة الوهابية ليست تهمة، إن كان تابع أحمد متوهبا يعني الذي سيتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهابي، قل أنا المقرر بأنني وهابي، مثل ما قال الشافعي:

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

والشيخ رحمه الله محبته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبة أعظم ما تكون المحبة؛ لأنها محبة قولية واعتقادية وعملية.

أما القولية فإنه اهتم بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحفظ الحديث ودرسه والاهتمام بسنته، والدعوة إلى الصلاة عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ في كل مكان.

وكان اثنان يتناقشان فأحدهما يقول لهذا -وهذا من أتباع الدعوة السلفية أو من أنصار الدعوة السلفية- يقول له الآخر: إن محمد بن عبد الوهاب ما يحب أهل البيت فقال له، وكان ذكيا ما اسم أولادك فعدد أسماء مختلفة، قال لكن الشيخ محمد أتدري ما أسماء أولاده؟ اسم أولاده الكبير علي وعبد الله والحسن والحسين وله ابنتان واحدة اسمها فاطمة والثانية اسمها سارة، إذا كان من شدة ومحبة وتعلقه بآل البيت يسمي أولاده بأسمائهم حتى يراهم يتحركون أمامه، ويرى أن هذا علي فيذكره بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن والحسين ويرى حب آل البيت هنا عملي، وما اختار الأسماء الشائعة، إذ ذاك في نجد مثل سليمان، ما سمى باسم أبيه عبد الوهاب، مع أنه تعبيد لله جل وعلا؛ لكن سمى بهذا وله ولد اسمه إبراهيم باسم خليل الله إبراهيم، فهو حتى في تسمية الأولاد كان له في ذلك المحبة.

ومن رأى كتاباته بيده عليه رحمة الله وانظروها في الرسائل التي هي بيده إذا وردت الصلاة على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ليس كسائل المؤلفين يوردها بخط صغير ربما ما تقرأ الصلاة، أكثر المخطوطات تجد الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تقرأها تشبك بحث تعرف أنها الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن ما تستبين الشيخ كان يكتبها بخط كبير واضح، وهي موجودة في

رسائله التي بيده وفي الصكوك أو الوثائق التي كان يكتبها رحمه الله تعالى، من الجهة العملية هو دعا الناس إلى السنة، فإذا كان اتباع الحبيب عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ليس هو دليل المحبة فمتى يكون دليل المحبة والله جل وعلا يقول لنبيه ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾[آل عمران:31].

فالنبي صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقه في محبته أن يتبع، وأن يستجاب له فيما أمر ونهى وأن تعظم سنته وأن يصلى عليه في كل مجلس عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كلما ذكر اسمه الشريف عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

لكن البدع والمحدثات الذي نهى عنها هو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال «**إياكم ومحدثات الأمور**» يحذر أمته وإياكم ومحدثات الأمور، يقول «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا به وعظوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**» لو كان النبي صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الناس اليوم، وقال لهم «**إياكم ومحدثات الأمور**»، وتسأل أي واحد هل المولد محدث أو غير محدث؟ ما يقول أحد ليس بمحدث. سيقول محدث؛ لأنه لم يفعله النبي صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا معاوية ولا الأمويين ولا العباسيين، إنما ابتدع فعله من الفاطميين من الدولة العبيدية الإسماعيلية المعروفة، ثم انتشر في الناس من ذلك في الزمان واستحسنه عدد من العلماء، والعلماء يصيبون ويخطئون، استحسنه عدد كبير من

العلماء؛ لكن العلماء يصيبون ويخطئون، وما استحسنه العدد من العلماء ليس على الصورة التي توجد في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي من الأدعية الشركية ولا الاستغاثات أو حضور روح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو القيام له أو نحو ذلك مما يجزم أنه من البدع المغلظة في الشريعة وقد تصل في بعض الأقوال إلى كان فيها استغاثة بالغائبين إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله.

المقصود أن الشيخ ليس ذنبه أن يكون دعا إلى السنة وعظّم قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظم هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل هذا المفروض عند كل مسلم أن يكون أدعى في أن يحبه لأنه أحب الحبيب فإذا كان هو أحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذن نحب من أحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة وليس لسانا.

ولهذا كان بعض العلماء من مصر جاء يدرس في الرياض في كلية الشريعة ولما مضى فترة يعني من تدريسه قال لأحد المشايخ: الحقيقة أننا في مصر نحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقول، وأنتم هنا تحبونه بالقول والعمل. يعني أننا نحب أن نصلي عليه ونحبه وكلما ذكر نصلي عليه ونحبه وكلما ذكر صلينا عليه وأنتم تصلون لكن أيضا أنتم شديدون في السنة على سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افعلها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن كذا لا تفعل هذا نوع من المحبة العملية والاعتقادية التي تميزت بها هذه الدعوة رضي الله عن صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورحم الله الأئمة المجددون.

س2/ ما رأيكم في الشباب الذين يخوضون في مجالسهم في أعـــراض العلمـــاء والتنقيص منهم، أو الخـــوض في الأمراء؟

ج/ أولا نصـــيحة للجميع لنفسي وللجميع بتقـــوى الله جل وعلا؛ لأن كل إنسان سيحاسب على قوله وعمله، والذي يقع في العلماء الراسخين، ومن لهم قدم صدق في الأمـة، فإنه ظلم نفسه، وكذلك الذي يقع في من هم من أنصار الـدعوة وحُماتها أيضا يكـون ظالما لنفســه؛ لأن هـذا ليس وسـيلة إصـــلاح وإنما هو أولا غيبـــة، والغيبة محرمة ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾[الحجرات:12]، ولا شك أن العلماء والأمراء منا ونحن منهم فإذا اغتبنا صـدق علينا هـذا لا يغتب بعضـكم بعضـــا، وقد قـــال جمع من أهل العلم إن الغيبة محرمة ويغلظ تحريمها بغلظ شأن المغتاب، فليس غيبة الصـحابة أو التنقص منهم كغيبة االتـــابعين التنقص منهم أو كغيبة الأئمة السالفين والتنقص منهم وهكذا؛ لكن يجمع الجميع الغيبة.

ولهـــذا وصـــيتي للجميع تقـــوى الله جل وعلا، وأنه يجب التعـاون على الـبر والتقـوى مع العلمـاء ومع الأمـراء ومع الـولاة، ونحن ولله الحمد في هـذه البلاد لا يوجد -مع عـدم مبالغة- لا يوجد مثـال اليـوم في الأرض لمثل العلاقة ما بين العلماء والأمراء في هـذه الدولـة، لا يوجد مثلها إلا المغالط فهذا شيء آخر؛ لكن العلاقة لا يجود مثلها.

لكن لا يتصور أحد أنه من شرط الأمـير أن يقبل الأمـير كل ما قـال العـالم، أو أن كل ما قاله العـالم دائما يكـون على صواب أو يكون في المصلحة، ثم أشياء منصـوص عليها وثم

أشياء غير منصوص عليها، وباب الاجتهاد يخوض فيه أناس ما بين مصيب وما بين مخطئ.

ولهذا يجب على الجميع أن يكفوا على هذا المنوال، وأن يحفظوا لأنفسهم حسناتهم؛ لأنك إذا اغتبت فإن حسناتك ستذهب لمن أغتبته كما جاء في الحديث.

لهذا لما ذكر عند بعض السلف قلي له فلان يغتاب الصحابة والتابعين من أهل البدع قال: وما ظنكم الله جل وعلا –تُذكر عن عائشة وعن غيرها أيضا- أنه قال: ما ظنكم قوم مضوا وانقضى علمهم فأراد الله جل وعلا أن لا تنقطع أعمالهم. هذا يغتاب وهذا يغتاب.

مرة أحد المشايخ أغتيب فطلب منه المغتاب أن يصفح عنه، فقال له: أما ما ذكرت يعني في رسالة طويلة مما وقع منك ومن غيرك في عرضي، فتلك أعراض أُنتهكت يعني كان زمن فتنة أعدّها ليوم فقري وحاجتي.

هذه مسألة ليست بالسهلة واحد بالكلام ﴿**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[النساء:114]، وعند عدد من العلماء الغيبة كبيرة؛ لأن الله جل وعلا جعلها كأكل لحم الميت قال ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[الحجرات:12]، وأكل لحم الميت من الإنسان كبيرة، فاستدلوا به أن الغيبة من الكبيرة.

وإذا كانت الغيبة من الكبائر فالصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، إذا كان المرء ما يجتنب كبيرة الغيبة، ويقع المرء في أهل العلم وفي أهل الولاية من الأمراء

فيما بعضه قد يكـون محقا فيه وبعضه لا يكـون محقا فيـه، فـإن هـذا أمـره عظيم، ولا تظن أن الغيبة هي أن تـذكر بما ليس صـواب؛ يعـني أن تـذكر كـذا لا الغيبة أن تـذكروا شـيئا صحيحا؛ لكن يكره منك الآخر أن تذكره؛ لأن النبي صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرَّق بين الغيبة وبين النميمة –تأخرنا عن الصلاة كثيرا- فقال «**ذكرك أخاك بما يكره، إن كان فيه ما قلت فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد اغتبته**».

لهـذا آمر الجميع أن ينتهـوا من هـذا الأمر وأن يسـعوا إلى إصـلاح عملهم علمهم وأن يـدعو الله جل وعلا، فـالمرء إذا كان عنـده عمل ودعـوة وخـير وإصـلاح؛ فإنه يغفل عن مثل نقد الآخرين والغيبة والنميمة، وعنده ما يشغله وما يتقرب به إلى ربه، أما إذا كان همه الجلوس وعنـده وقت فـراغ كثـير، فإنه يضل بالشيطان بأنه ينصر الدين بالغيبة فهذا مزلة أقدام ومضلة أفهام.

س4/ هل الخبر الذي أحزننا صحيح وهو أنه صدر منعٌ من الـدعاء لإخواننا المسـلمين في الشيشـان في المحاضـرات والدروس؟

ج/ أعوذ بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا مما يبين -يعني هذا السؤال وما شاكله- مما يـبين أننا في حالة علمية ضـعيفة وما كنت أظن أن أئمة المسـاجد أنا والخطبـاء وطلبة العلم والـدعاة عنـدهم من نقص العلم ما اتّضح لي بعد ظهور ما ذكرتُه للتابعين في الوزارة في هـذه المسألة.

مسألة القنوت للشيشان والدعاء لهم هذا مطلوب، القنوت لهم في رمضان والتراويح، الدعاء لهم في خطب الجمعة، الدعاء لهم في المحاضرات وفي الدروس لأنهم مجاهدون صادقون فيما نحسب والله حسيبهم وضد ملاحدة ودعمهم بالمال والدعاء والجهد هذا واجب على الجميع، ولا يجوز لأحد أن يبخل في هذا الميدان؛ يعني فيما يستطيع من الدعاء أو فيما يستطيع من بذل المال.

لكن ثم مسألة أخرى شرعية الناس لم يفقهوا هذه لضعف الفقه الشرعي، وهي مسألة قنوت النوازل، قنوت النوازل غير مسألة الدعاء مثل ما ذكرت لك مطلوب وأنا آمل هنا؛ بل أنا أطلب من الخطباء أو من يلقي أن يدعو لإخوانه في الشيشان وهذا عمل صالح نتقرب به.

ولكن مسألة القنوت هذه مسألة أخرى الآن لو يأتي أحد يريد أن يقوم بصلاة استسقاء بدون فتوى شرعية أو بدون إذن من ولي أمر يصلح شرعا وفقها؟ ما يصلح، ننتظر نقول جاء الإذن أمر الملك في صلاة الاستسقاء.

في عدد من المسائل الشرعية منوطة في الفقه بفتوى شرعية؛ يعني ليس لكل إمام أن يبتدرها، وليس لكل مسجد أن يبتدرها؛ بل لابد من فتوى شرعية في ذلك.

وهذا الذي ذكرناه لهم أنه لابد من فتوى شرعية للقنوت.

ومسألة قنوت النوازل السنة فيه يجب أن تعلم، ومع الأسف أنه غابت السنة في هذه المسألة وغُلب اجتهاد على ما هو ظاهر لدي أنا من السنة، وما يجوز لي أنا وأنا مسؤول وعندي ولاية شرعية، ما يجوز لي أن أقلد في مسألة يظهر لي الصواب شرعا، إذا كان يظهر لي فيها الصواب شرعا

بالسنة أنه الصواب كذا، فما يجوز لي أن أقلد وضعا كان سابقا أو نحو ذلك.

قنوت النوازل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قنت وترك، قنت لما قتل القراء كما هو معروف بعد بئر معونة بعد غزوة ذات الرقاع، وترك القنوت في عدد من المصائب التي مرت بهم والنوازل ومن أكبرها غزوة مؤتة، من قتل في مؤتة قتل جعفر بن أبي طالب وقتل عبد الله بن رواحة، ورجع المسلمون والقتلى فيهم كثير وهم من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم ومن قرابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يقنت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنازلة مؤتة وهي كانت سنة سبع يعني بعدها أوثمان أو نحوها وقنت مرة، لهذا قال العلماء القنوت السنة فيه أن يُقنت ويُترك. هذه مسألة.

المسألة الثانية أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قنت لم يأمر مساجد المدينة بالقنوت قنوت النازلة، وإنما قنت هو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في مسجده، وأما مسجد قباء ومسجد بني بريد ومسجد العالية فلم يأت فيها خبر بإسناد ولا حسن ولم أر حتى ضعيف أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر جميع المساجد بالقنوت، وإنما قنت هو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ شهرا، وهذا استدل به عليه عدد من الأئمة منهم الإمام أحمد: أنه إنما يقنت الإمام الأعظم في الإمام الأعظم.

ما يقنت كل مسجد هذا ظاهر السنة؛ لأن لو كانت السنة أن كل مسجد تقنت لقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمساجد تقنت.

ونحن نعلكم الناس السنة والبدعة أيضا أن ما تركه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السنة نتركه، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لما لم يأمر الناس أن يقنتوا فإنه يظهر من السنة أنه لا تقنت جميع المساجد.

فإذن دل هذا على أنه إذا جاءت الفتوى بالقنوت والسنة كما ذكرت لكم أن يقنت ويترك إذا جاءت الفتوى بالقنوت فعندي أن السنة ظاهرة في أنه لا يقنت في البلد الواحد إلا مسجد واحد فقط، وهو المسجد الأعظم في البلد، وهذه السنة في هذه المسألة.

المسألة الثالثة التي ينبغي أن ننبه عليها ما قاله عدد كبير من العلماء وإن كان هذا يحتاج إلى فتوى شرعية: من أن الصحابة رضوان الله عليهم في هديهم أنه ليس مفهوم قنوت الناس وعندهم وفقههم فقه السلف في قنوت النازلة أنه وقعت نازلة في طرف من بلاد المسلمين قنت الجميع، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قنت في ذات الرقاع ليس وقت المعركة، وإنما لما جاءه الخبر بعد إن انتهت المعركة قنت يدعو على فلان.

والصحابة رضوان الله عليهم لم يكن من هديهم إذا وقعت نازلة في طرف بلاد المسلمين قنت جميع المسلمين، ولهذا قال جمع من أهل العلم إن القنوت هذه تحتاج إلى فتوى شرعية واجتهاد لكن من تمام بحث المسألة أن قنوت النوازل لكل أهل بلد بحسبهم، النازلة بحسبها وهذا يحتاج إلى فقه.

وهذا يا إخوان يجب أن ينتبه إليه الجميع وأن تنشروا في الناس أن السنة ليست هي بقوة الغيرة، ليست هي أنه كلما كان الإنسان أكثر اندفاعا وحماسا معناه أنه هو الذي يطبق السنة.

نعم أنا مثل يعلم الكثير في هذه المسألة نالني منها أذى متنوع، وبعض الناس قال كذا لكن هذا لا يهم لأنه لابد أن يعرف الناس السنة لو جاملنا ومشت المسألة في شيء يدخل تحت ولايتي الشرعية لتدرّج الناس على الأمر إذا حصل أي مشكلة خلاص السنة القنوت السنة القنوت، وعندئذ بعد سنوات تخفى السنة، ويصبح الذي خالفها قد خالف السنة، وهو ربما يكون الرجوع إلى السنة بعد سنين أصعب وأصعب.

فهذه المسألة لعلها تكون واضحة؛ يعني يعلم الإخوان ربما في الوزارة وأنا حدثتكم بحديث واضح بدون حواجز، أننا نحرص تماما على أنه ما يأتي وما يؤمر الأئمة خاصة من عندي أن يكون على وفق أعلم أنه صواب شرعا، قد يكون اجتهادي يخالف اجتهاد آخرين، هذه مسألة أخرى؛ لكنه يكون عندي أنه هو الصواب شرعا، وأما إذا كنا نأخذ باجتهادات كل إمام مسجد واجتهاته وكل طالب علم واجتهاداته أظن أن المسالة تخرج عن الطوق وتطول.

وفي الختام حتى يعني نحقق ما قلنا ندعو لإخواننا المسلمين في الشيشان وجميع المسلمين بأن ينصرهم الله جل جلاله.

اللهم نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى وباسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبن وإذا سئلت به أعطيت أن تنصر إخواننا المؤمنين في الشيشان، وأن تقويهم على عدونا وعدوهم، اللهم سدد رميهم، اللهم سدد رميهم، اللهم آلف بين قلوبهم وقوهم شوكتهم وأمددهم بمدد من عندك، إنك أنت الوهاب، اللهم عليك بالروس الملاحدة الظالمين،

اللهم عليك بالروس الملاحدة الظالمين، اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم، اللهم واجعل الدائرة تدور عليهم، اللهم إنا نبرأ في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم إنك نصرت عبادك الصالحين وأيدهم ونصرتهم على عدوك وعدوهم الله كما نصرت الأولين فانصر إخواننا هناك عاجلا غير آجل وألّف بين قلوب الجميع، واجعلنا من الدعاة إلى دينك، ومن المجاهدين في سبيلك بما نستطيع إنك جواد كريم.

اللهم نسألك أن تنصر المؤمنين في كل مكان، اللهم انصر المجاهدين في كل مكان، اللهم انصر المجاهدين في فلسطين وفي الشيشان وفي كشمير وفي أندونوسيا وفي أي بلد ترفع في راية الإسلام إنك جواد كريم.

اللهم إنا نسألك بأسمائك وصفاتك ألا تجعل حظنا من دعائنا الرد، اللهم أجب دعاءنا وسولنا، واجعلنا مخلصين لك صادقين في أقوالنا في أعمالنا إنك على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

أعدّ هذه المادة: سالم الجزائري